لمحات من وصف الربيع في الشعر العباسي

أ.م.د. ثائر سمير حسن الشمري
جامعة بابل/ كلية التربية الاساسية

لا يخفى ما للربيع – بجمال أزهاره، وتنوع الوانها، واخضرار اشجاره، وطعم ثماره المختلفة – من اثر ايجابي في نفوس الناس جميعاً، كل بحسب درجة حساسيته أو شعوره بما حوله من جمال الطبيعة الساحرة، ولاسيما في هذا الفصل، فللطبيعة ((سحر يفوق كل سحر، ولها سلطانها على الانسان، وقدرتها على تحرير ذاته من قيود الحياة))[١] لذا فليس من الغريب ان نجد كثيراً من الشعراء العباسيين وهم يبدعون في وصف هذا الفصل من السنة، ويفضلونه على الفصول الأُخر، بما رسمته كلماتهم من الوان زاهية، تجعلنا على مرأى من المناظر التي اولعوا بها، وعشقوها من دون اية مغالاة، فالطبيعة ((هي عود الثقاب الذي يشعل الروح الشاعرة، ويدفع بالينبوع الكائن في اعماق النفس إلى التفجر والتدفق والانطلاق، وبقدر ائتلاف الشعر مع الطبيعة، وبقدر اتصاله الروحي بموجودات هذا العالم، يكون حظه من التعرف على اسرارها، ويكون نصيبه من المتعة الروحية))[٢].

لذلك سنحاول في هذا البحث رصد ابرز ما صوره لنا الشعراء العباسيون، من خلال اعجابهم بما يحتويه فصل الربيع، ذلك الاعجاب الذي دفعهم إلى رسم اجمل الصور الملونة بالألوان الزاهية المتعددة، واول ما يلقانا في قصائدهم التي تغنت بجمال الربيع هو انهم كانوا لا يستطيعون اخفاء فرحهم واستبشارهم بقدوم الربيع، فكثيراً ما كانت قصائدهم متضمنة الفاظ السعادة التي تغمرهم، والتي تؤدي في نهاية المطاف إلى الاعلان عنها في اشعارهم الربيعية إنْ صَحَّ القول.

إنَّ لفظة السعادة كانت اول لفظة طرحها الحمدوي في شعره، حين تناول جانباً حيوياً ومهما من جوانب فصل الربيع المتعددة، إذ رأى هذا الشاعر أن المطر الذي سقى الرياض جعل الناس جميعاً سعداء، وذلك لما تزدهر به تلك الرياض بالوان النباتات والأزهار، يقول:

روضٌ افادته السحابُ صنائعاً   اضحى بها كُلُّ البلادِ سعيدا [٣]

أمّا ابن الرومي، فهو يرى أنَّ الدنيا في الربيع، أصبحت تروق الناظر اليها، ففي رؤية الوان الورد الطبيعية، وتنوع اشكاله، جلاء للبصر، كما في قوله:

اصبحت الدنيا تروقُ مَن نَظَرْ   بمنظرٍ فيه جِلاءٌ للبَصَرْ [٤]

ولان الربيع يمتاز بكثرة امطاره التي تزدهر بها المزروعات في مثل هذا الوقت من السنة، يرى الشاعر كشاجم انه بذلك المطر المفيد يكون الربيع مثل من يهدي السرور إلى الناس عامة، وذلك في قوله:

حَيِّ الربيعَ تَحِيَّةَ المُستقبلِ   أهدى السُّرُورَ لنا بغيثٍ مُسْبَلِ[٥]

وحين يقدم فصل الربيع، فان البهجة تأتي معه، كما تبتسم الرياض، في كناية لطيفة عن تفتّح الأزهار والانوار لدى ابن وكيع التنيسي في قوله:

اسْفَرَ عن بَهجتِهِ الدَّهْرُ الاغرْ   وابتسَمَ الرَّوضُ لنا عن الزَّهرْ [٦]

اذن، كانت الفاظ الفرح والسعادة والبهجة والاستبشار[٧]، من الامور المهمة التي تناولتها خواطر الشعراء العباسيين، بوصفها ادلة على فضل هذا الفصل من دون سائر الفصول الأُخر، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، عبّرت عمّا بدواخلهم من الفرحة الغامرة التي دعت بعضهم إلى وصف الربيع في مقدمات قصائدهم المدحية، بوصفه رمزاً لازدهار الحياة في زمن الممدوح[٨].

ان ما سبق ذكره، كان مقدمة تمهيدية للشعراء العباسيين، ودافعاً حيوياً دفعهم بقوة إلى الترحيب بفصل الربيع في قصائدهم، لاسباب سنأتي على ذكرها تباعاً، فكثيراً ما كانوا يعبرون عن ترحيبهم به في مقدمات قصائدهم، التي يصفون فيها فعله بالطبيعة، مما يؤدي إلى سعادتهم – كما الجميع – بتلك الافعال، فمن ابيات الترحيب ما جاء به الحمدوي في قوله:

حيِّ الربيعَ فقد اتاكَ حميدا بدلت من خلقِ الزمان جديدا[٩]

فضلاً عن بيت الشاعر كشاجم، الذي سبق ذكره، في قوله:

حَيِّ الربيعَ تحيَّةَ المُستقبلِ اهْدَى السُّرُورَ لنا بغيثٍ مسْبَلِ[١٠]

ان الترحيب بالربيع لم يكن مجرد كلمات ينطقها الشعراء من دون وعي أو ادراك لما يقولون، أو من دون أسباب مهمة وقوية ترغمهم على ذلك الفعل، أو فلنقل: تجعلهم يرحبون به وهم في غاية السرور، ولعلّ من اهم تلك الاسباب، هي ما يقدم من الامطار مع قدوم الربيع، وبما ان الامطار هي السبب الرئيس لازدهار النباتات بصنوفها المختلفة، كان من الضروري ان تتقدم في قصائد الشعراء على غيرها من الاسباب التي سنذكرها فيما بعد، والتي دعتهم إلى الترحيب بالربيع.

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن اهمية الامطار في فصل الربيع، وابان عن تاثيرها في الزرع، الحمدوي، الذي رأى انه بفضل المطر ابتلت التربة، واصبحت الرياض منتعشة، مما ادى إلى نمو المحاصيل الزراعية، التي يفرح الناس بها، كونها مصدر غذائهم، فضلاً عن النباتات الجميلة، والأزهار الملونة، التي تُسعد الانسان حين النظر اليها:

خلق السحاب على الثرى وشياً ترى منه الثرى ذا ثروةٍ محسودا

روضٌ افادتهُ السحابُ صنائعاً اضحى بها كلُّ البلادِ سعيدا

نشأتْ سحابتُهُ عليه فانشأتْ نَوْراً تراهُ ناشئاً ووليدا[١١]

في حين ابان كشاجم عن كثرة الامطار في فصل الربيع، والتي بشّرت بالخصب وازدهار الزرع، بعد ان أُصِيبَتْ الارض بالجدب، وموت النباتات، يقول:

مُتكاثِفُ الانواءِ مُنْغَدِقُ الحَيَا هَطِلِ النَدى[كذا] هَزِمِ الرُّعودِ مُجَلْجَلِ

جَاءَتْ بعَزْلِ الجَدْبِ فيه فَبَشَّرَتْ بالخِصْبِ أنواءُ السِّمَاكِ الاعْزَلِ[١٢]

وبالامطار تزدهر الرياض، وتتوشح بضروب النباتات المختلفة، التي تبهر كل من ينظر لها، حتى ان الارض تُشبّه بزيّ العروس اثناء تساقط قطرات المطر عليها، وذلك في قول ابن وكيع التنيسي:

ابدى لنا فصلُ الرَّبيعِ مَنْظراً بمثْلِه تُفْتَنُ ألبابُ البَشَرْ

وشياً ولكِنْ حَاكَهُ صانِعُهُ لا لابتِذالِ اللُّبْسِ لكِنْ للنَّظَرْ

عايَنَهُ طَرْفُ السَّماءِ فانثنى عِشْقاً لهُ يبكي بأجفَانِ المَطَرْ

اما عن الأسباب الأُخر، التي دعت الشعراء العباسيين إلى التغني بفصل الربيع، والترحيب به، وتفضيله على ما سواه من الفصول، فقد كانت كثيرة كثرة الشعراء في العصر العباسي، لذا سنحاول الحديث عنها بحسب التسلسل الزمني للشعراء الذين كشفوا عن اسرارها، وابانوا عن مكنوناتها.

فابو تمام مثلاً، يرى ان اجمل ما في فصل الربيع هو تمايل نباتاته فوق التراب بفعل الرياح، مما يبعث على سعادة الرائي لمثل ذلك المنظر، يقول:

رَقَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ فهي تَمَرْمَرُ   وغَدا الثَّرى في حَلْيِهِ يَتَكَسَّرُ (١٤)

ولذلك كان الشاعر يعتقد بانه لو دام حسن الرياض، بما فيها من تعدد الأزهار والالوان، دامت البهجة عبر الايام، ولم تسلب من اصحابها، وهو لا يكتفي بالتعبير عن قناعته تلك، وانما يتحدث مع المتلقين، لتاكيد وجهات نظره، من خلال الادلة العقلية والمنطقية التي كان كثيراً ما يضفيها على شعره، فيرى أنَ حُسنَ الارض في تغييرها وعدم استقرارها على حال واحدة، ويريد تغييرها عن طريق جمال طبيعتها في الربيع، خلافاً للامور الأُخر، التي تَسْمُجُ حين التغيير على حدِّ قوله:

ما كانتِ الأيّامُ تُسْلَبُ بهْجَةً   لَو انَّ حُسْنَ الرَّوضِ كان يُعَمَّرُ

أَوَ لا ترى الاشياءَ إنْ هِيَ غُيِّرتْ   سَمُجَتْ وحُسْنُ الأرضِ حينَ تُغَيَّرُ (١٥)

ثم يدعو صاحبيه لينظرا الارض في هذا الفصل، وكيف انها تَتَصوّر وتزدهر بالوان الورد المختلفة، وجمال الطبيعة الذي ينتج من خلال تلك الالوان الزاهية، وكيف يخالط بياضُ الزهر بياضَ النهارِ، ويتغلب عليه، فيبدو نهاره وكأنما هو مقمر لا مشمس:

ياصَاحِبَيَّ تَقَصّيا نَظَرَيْكُما   تَرَيا وُجُوهَ الأَرضِ كيفَ تَصَوَّرُ

تَرَيا نَهاراً مُشْمِساً قدْ شَابَهُ   زَهْرُ الرُّبا فكأنّما هو مُقْمِرُ (١٦)

ويتحدث الشاعر فيما تبقى من مقدمة قصيدته التي خصّصها لوصف الربيع، قبل الدخول في مديح المعتصم، عن خلق الله (سبحانه وتعالى) للدنيا، وجعلها مصدر رزق للناس، عن طريق ما يخرج من ارضها، ولاسيما في فصل الربيع، الذي يعدّ المُبَشِّر الاساس لما سيأتي من القوت، ثم ان الماء الذي يكون في باطن الارض، هو سبب نشوء انوار الأزهار، وتكوين الثمار، فتزدهر به الاشجار، التي تكون بدورها ظاهرة حيناً، ومتخفية حيناً آخر، بسبب تكاثف النباتات حولها، لذا يشبهها الشاعر بامرأة عذراء تبدو مرّة، وتختفي اخرى، ثم يتواصل في وصف الاشجار والأزهار المختلفة، متحدثاً عن الوانها الجميلة، وتاثيرها من النفوس:

دُنيا مَعاشٌ للوَرى حتَّى إذا   جُلِيَ الربيعُ فإنّما هيَ مَنْظَرُ

أَضْحَتْ تَصُوغُ بُطونُها لِظُهُورِها   نَوْراً تكادُ لَهُ القُلُوبُ تُنَوَّرُ

من كل زاهرةٍ تَرَقرَقُ بالنَّدى [كذا   فكأنّها عينٌ عليهِ تُحدَّرُ

تَبدُو ويَحْجُبُها الجَمِيمُ كأنّها   عَذراءُ تبدُو تارةً وتَخَفَّرُ

حَتّى غَدَتْ وَهَدَاتُها ونجادُها فِئَتَينِ في خِلَعِ الرَّبيعِ تَبَخترُ
مُصْفَرَّةً مُحْمَرَّةً فكأنّها عُصَبٌ تَيَمَّنُ في الوَغى وتَمْضَّرُ
من فاقِعٍ غَضِّ النّباتِ كأنّه دُرٌّ يُشَقَّقُ قبلُ ثُمَّ يُزَعْفَرُ
أو ساطِعٍ في حُمْرَةٍ فكأنَّ ما يَدْنُو إليهِ من الهواءِ مُعَصْفَرُ(١٧)

إذن، كان جمال الالوان التي تكسو الطبيعة في الربيع، هو السبب الذي اغرى ابا تمام بتفضيل هذا الفصل، والتغني به، وبجمال ما يحتويه من النباتات والأزهار المتنوعة، فضلاً عن الامور الأُخر التي تمّ التطرّق اليها.

ولم يكن أبو تمام متفرداً في اعجابه بفصل الربيع، فيما يتصل بجمال أزهاره، وتنوعها واخضرار الطبيعة، التي تبهر عيون الناظرين اليها، إذ اتفق اكثر الشعراء في العصر العباسي على التغني بجمال تلك المناظر الخلاّبة، بكل ما تحمله من مواصفات تجسّد عظمة الخالق القدير، الذي ميّز الربيع على سائر الفصول، سواء أكان ذلك من ناحية الشكل، ام من ناحية المضمون، ومن اولئك الشعراء، الحمدوي، الذي لم يألُ جهداً في وصف انواع الورد، واختلاف الوانه، والتغزل برياض الربيع المزدهرة في كنف هذا الفصل، فيقول:

نشأتْ سحابتُهُ عليه فانشأتْ نَوْراً تراهُ ناشِئاً ووليدا
فكأنّها عَدْنٌ لدى أكنافِهِ قد نشرتْ فيه التجار برودا
عن اقحوانٍ ضاحِكٍ مُتَبَسِّمٍ يفترّ عن بردِ التجارِ عقودا
فثغورُهُ من لؤلؤٍ ولثاته ذهب بريق سحابة قد جيدا
ومعصفرات من شقائق البستْ مقلاً ترى فيها محاجر سودا
فانهضْ بطرفك حيثُ شِئتَ تجدْ لهُ عن عطفه ورداً يخالُ خدودا
تحكي لك الوجنات قد أشعرتها خجلاً فتشرب لونها توريدا
قد وشحت اكنافه ببنفسجٍ خنثٍ يغازلُ غانياتٍ غيدا
وترى العذارى من بهار باهرٍ للشَّمسِ تحسب نظمهنّ فريدا
زهر يظلُّ الطّرفُ في اكنافه حسراً لِرَونقه النّظير بَلِيدا (١٨)

وكان البحتري يشعر برقّة نسيم الريح في الربيع، حتّى أنّه يذكّره بلَذّةِ أنفاس الحبيبة، وفي ذلك ما يؤكد جمال الربيع، ويُبرز تفضيله من جوانب شتّى:

وَرَقَّ نَسِيمُ الرِّيح حَتّى حَسِبْتَهُ يَجِيءُ بأنفاسِ الأحِبَّةِ نُعَّما(١٩)

ونعود مرة اخرى مع ابن الرومي إلى جمال الطبيعة، من خلال بياض انوار الورد، وازدهار أزهاره في الرّياض المختلفة، فتغدو الأرض في الربيع وكأنّها مرتدية كساءً كبيراً من الألوان، التي لا تثير في النفوس جميعاً إلاّ الشعور بالراحة والطمأنينة:

فالأرضُ في روضٍ كأفوافِ الحِبَرْ نيّرةُ النُّوار زهراءُ الزهرْ(٢٠)

ومع ان ابن المعتز لا يختلف عن الشعراء السابقين، فيما يخص جمال الطبيعة في فصل الربيع، الاّ انه اضاف عليهم أسباباً أُخر لم يتناولوها في قصائدهم، من ذلك مثلاً خفّة حدّة البرد فيه في وقت السحر، وقلّة الثياب التي يرتديها الانسان فيه، قياساً بالثياب التي كان يرتديها في فصل الشتاء، فضلاً عن اعتدال الجو فيه من ناحية البرد والحرّ على حدٍّ سواء، يقول:

أتاكَ الرّبيعُ بِطِيبِ البُكَرْ وَرَقَّ على الجسم بَرْدُ السَّحَرْ

وَخَفَّتْ على المَرْءِ أثوابُهُ إذا راحَ في حاجةٍ أو بَكَرْ

وبُقِّرَتِ الأرضُ عن جَوهَرٍ فَمُنْتَظِمٌ منهُ أو مُنتَثِرْ

وقد عَدَّلَ الدَّهْرُ ميزانَهُ فلا فيهِ حرٌّ ولا فيهِ قُرْ(٢١)

ولم يبتعد ابن وكيع التنيسي كثيراً عن ابن المعتز، فيما يتعلق بتفضيله فصل الربيع على الفصول الأُخر، ولكنه اضاف عليه أشياء أُخر، فغدا اكثر تفصيلاً منهُ، ومن سواه من الشعراء العباسيين، وليس ذلك بامر غريب على شاعر اختص بوصف الربيع، والتغني بجمال الأزهار في معظم شعره.

فهو يرى ان الربيع احسن من الفصول جميعاً حينما يأتي، اذ يعتدل فيه الجو من ناحِيَتَي البرد والحر، فلهما مقدار محدد يريح الانسان، ويجعله ساكناً مطمئناً لطبيعته فيما يتصل بهذه الناحية، اما بالنسبة لنهار هذا الفصل لدى الشاعر، فانه من احسن النهار، من حيث الضياء والاشراق، فضلاً عن جمال الشمس فيه، واستلطاف النسيم في ليله، وكذلك يفضل الشاعر البدر في هذا الفصل عنه في الفصول الأُخر، كونه يغدو فيه حسن الإشراق، وكثير النور، وفيه تظلّ الطيور في ترنّم دائم، يعجب له المستمع، على الرغم من عدم فهمه له، سوى جمال النباتات فيه، وتنوّع الأزهار في الوانها المختلفة، يقول:

جَاد إلينا زمنُ الرَّبيعِ فجَاءَ فَصْلُ حَسَنُ الجميعِ

لبردِهِ وحَرِّهِ مقدارٌ لمَ يكْتَنِفْ حَدَّهما الإكثارُ

عُدِّلَ في أوزانِهِ حَتَّى اعتَدَلْ وحُمِدَ التَّفْصِيلُ منه والجُمَلْ

تضحكُ فيه الشمسُ من غير عَجَبْ كأنَّها في الأُفْقِ جامٌ من ذَهَبْ

وليلُهُ مُستَلْطَفُ النَّسِيْمِ مُقَوَّمٌ في أَحْسَنِ التَّقويمِ

لبدرِهِ فَضْلٌ على البُدُورِ في حُسْنِ إِشْرَاقٍ وفَرْطِ نُوْرِ

هذا، وكم يَجْمَعُ من أُمُورِ إسرافُ مُطْرِيها مِنَ التَّقْصِيرِ

فيه تظلُّ الطّيرُ في تَرَنُّمِ حاذِقَةً باللَّحنِ لمْ تُعَلَّمِ

غناؤُها ذو عُجْمَةٍ لا يَفْهَمُهْ سامِعُهُ وهو على ذا يَقْرَمُهْ

فيهِ ضُرُوبٌ للنباتِ الغَضِّ يحكِي لباسَ الجُنْدِ يومَ العَرْضِ

من نَرْجِسٍ أبيض كالثّغورِ كأنّهُ مَخانقُ الكافُورِ(٢٢)

لقد كان منظر الطيور في فصل الربيع، مثيراً قوياً لابن وكيع، إذ كثيراً ما كان يتكلم عليه، حين يتغنى بجمال الطبيعة في هذا الفصل، ومن ذلك مثلاً قوله:

وانظُرْ إلى الأطيارِ في أرجائِهِ إذا دَعَا الثَّاكِلُ منها وصَفَرْ

كأنها تَصْفِرُ في رِياضِها سِرْبُ قيانٍ فوق بُسْطٍ من حِبَرْ(٢٣)

ان ما سبق الكلام عليه، كان يمثّل وجهات نظر الشعراء العباسيين في بيان فضل فصل الربيع وجماله، على الفصول الأُخر، ذلك التفضيل الذي دعا بعضهم – وللأسف – إلى استثمار هذا الفصل – بكل ما يحمله من ايجابيات في الدعوة إلى تناول المحرّمات، ولا سيما شرب الخمرة، فكانت تلك الدعوات أسوأ ما دعا اليه، وتحدث عنه الشعراء العباسيون، أو بصورة أدق، بعض أولئك الشعراء، ومن جهة ثانية شكّلت تلك الدعوات حالاً سيئة لدى الانسان المؤمن الذي يتجنب ارتكاب المعاصي.

فابن بسام مثلاً، يقرن مجيء اللهو والطرب – على حدِّ قوله – بمجيء الربيع، فيدعو إلى معاقرة الخمرة في هذا الفصل قائلاً:

جاءَ الرّبِيعُ وجَاءَ اللَّهوُ والطَّرَبُ فاشْرَبْ عُقاراً كَلَونِ النَّارِ تَلْتَهِبُ(٢٤)

ومثلما اكثر ابن وكيع التنيسي من وصف جمال الأزهار والنباتات في فصل الربيع، فانه اكثر – كذلك – من الدعوة إلى شرب الخمرة فيه، فهو بعد أنْ يتغنّى بجمال الفصل، يدخل مباشرةِ إلى التشجيع على شربها فيه، غير آبهٍ بتحريمها، أو بنبذ المجتمع لشاربيها، قائلاً:

فانهضْ إلى اللّهْوِ ولا تَخَلَّفِ فلستَ في ذلكَ بالمُعَنَّفِ

واشربْ عُقاراً طالَ فينا كونُها يَصْفَرّ مِن خَوْفِ المِزاج لونُها[٢٥]

ويدعو في مناسبة اخرى إلى عدم المبالاة بأقوال اللائمين في شرب الخمرة، وعدم الاستماع لهم، وليس ذلك فحسب، وانما يحاول اقناع متلقيه بما يعتقده هو من خلال طرح فكرة معينة تؤدي إلى تحقيق ما يصبو اليه، فيقول:

فانهضْ إلى اللَّهْوِ ولذّاتِ الصِّبا لأَمَكَ مَنْ يَعْذِلُ أو عَذَرْ

فَقَلَّما يُغْنِيْكَ مَنْ يَعْذِل فيـ ما تَشْتَهِي حَتَّى تُوارِيكَ الحُفَرْ[٢٦]

ويتمادى الشاعر نفسه – في وقت اخر– إلى ما هو ابعد من ذلك، حين يصرّح بأنّ ألذ الأشياء لديه هي التي اتّفِقَ على تحريمها، لذا نراه يدعو ساقيه ليسقيه الخمرة المحرمة، لانها من الامور المهمة التي يعيش لها، ومن اجلها، والعياذ بالله:

فَقُمْ فاسْقِني ما حَرَّمُوهُ فما أرى مِنَ العَيْشِ حلواً غيرَ ما قِيلَ حُرِّما[٢٧]

ويبدو ان الشعور بجمال الطبيعة لدى بعض الشعراء في الربيع، فضلاً عن نقصٍ واضح واكيد في ايمانهم، كانا سببين رئيسين ومباشرين في تجاوزهم إلى هذه الدرجة، فصرّحوا بأمور لا يجوز التصريح بها، وفعلوا اشياء لايجدر بهم فعلها أو القيام بها، والتي كان من اسوئها– طبعاً– الدعوة إلى شرب الخمرة، أو شربها فعلاً.

وبعد هذا العرض المفصّل لأهم ما تناوله الشعراء من الموضوعات الرئيسة في اثناء وصف الربيع، لابد لنا الآن من الحديث عن اهم ما وفّره اولئك الشعراء من السمات الفنية إلى شعرهم الربيعي – إن صحَّ التعبير– والتي اضافت على جمال الربيع جمالاً اخر من حيث الشكل، فامتزج– بذلك– جمال الطبيعة مع جمال اللغة والصور، فغدا التآلف بين الجمالين من اروع ما يكون كما سيتضح لنا، فحاكى الشعراء جمال الطبيعة بجمال قصائدهم، من خلال الصور الشعرية الجميلة، التي صاغوها بعبقرياتهم الفذّة، لتشاكل جمال الربيع من حيث التنوع في الالوان البهيجة، وانوار الأزهار المتفتحة.

إنّ أول ما يمكننا رصده من ابداعات الشعراء، فيما يتصل بالصور الشعرية الجميلة، هو انهم رسموا لنا صوراً متحركة نكاد نراها بأعيننا، على الرغم من انها مرسومة بالكلمات، وفي ذلك– حتماً– ما يؤكد مقدرتهم على مجاراة جمال الطبيعة، من خلال اشعارهم التي نظموها في الربيع [٢٨] ، فشبّهوا الورد– في بعض اشعارهم– بالعاشق الولهان الذي يُقبّل حبيبته مع عدم اطمئنانه ممن حوله، خوفاً من ان يراه احدهم، فيظل مترقباً في اثناء قيامه بذلك التقبيل:

كأنّهُ حينَ يبدُو مِن مطالِعِهِ صَبٌّ يُقبِّلُ حِبًّا وهو يَرْتَقِبُ[٢٩]

وحاول بعضهم ان يصور حركة الأزهار، فضلاً عن حركة الماء في البرك، اذا ما مرّت من فوقه نسمات الرياح، احدثت فيه تموجات شبيهة بالدروع[٣٠]:

انظُرْ إلى زهرِ الرّبيع والماء في برك البديع

وإذا الرياحُ جَرَتْ عليـ ـه في الذهاب وفي الرجوع

جرّتْ على بِيضِ الصفا ئحِ بيننا حلق الدروع[٣١]

ولا يقتصر فعل الرياح على الأزهار والماء فحسب، وانما يتعدى تأثيره إلى الاشجار القوية كشجر السرو، الذي ما ان تقبل الرياح من فوقه، حتى تؤثر فيه، فتثني سيقانه وتفعل فعلها فيها، وذلك كله من فوق جدول الماء المتفجّر حيوية ونشاطاً:

والسَّرْوُ تَثْنِيهِ الرِّياحُ لَوَاعِباً مِن فَوقِ جَدْوَلِ مائِهِ المُتَفَجِّرِ (٣٢)

أمّا الرياض التي تكون عامرة بأزهار البنفسج، فقد كان حظها ان تشبَّه بالأرض الممتلئة بالحجر الكريم ذي اللون الازرق، في مبالغة كبيرة لبيان شدّة جمال تلك الرياض بالأزهار التي فيها:

وَرَوضَةٍ تُزْهِرُ من بَنَفْسَجِ كأنَّها أرضٌ من الفَيْرُوزَجِ(٣٣)

وعن أنوار الباقلاء، فقد شبّهها بعض الشعراء بالأعين الحوراء، وذلك حين تفتّحها، أو هي كألحاظ الظباء- في عدم استقرارها بسبب حذرها الشديد – اذا ما خافت من الصيّاد:

كأنَّ نَوْرَ الباقِلّاءِ إذْ بَدَا لِناظِرِيهِ أعينٌ فيها حَوَرْ

كمثلِ ألحاظِ اليعافِيرِ إذا رَوّعَها مِن قانصٍ فَرْطُ الحَذَرْ (٣٤)

إنّ مَن يُنْعِم النظر في صور النصوص السابقة، لا يشكّ أبداً في انه يقف امام تلك المناظر بنفسه، فيراها بعينيه من دون اية مبالغة، وفي ذلك ما يؤكد مقدرة الشعراء على الابداع في رسم الصور المؤثرة، التي استطاعوا من خلالها، محاكاة الطبيعة الخلّابة، ولاسيما في فصل الربيع، هذا من جهة، ومن جهة اخرى، سيرى ذلك الرائي بان اكثر تلك الصور كانت تعتمد التشبيه في رسمها، لذا فقد كان التشبيه البطل الرئيس في محاكاة جمال نباتات الطبيعة بألوانها المختلفة، واشكالها المتعددة.

ولعل اهم ملاحظة يمكن ان ندوِّنها فيما يخص التشبيه، هي ان اكثر الشعراء الذين وصفوا الربيع، أو أي شيء يتضمنه، كانوا يشبهونه بالنساء، أو اية صفة تتعلق بهنّ، كصفة العذرية، أو الخجل، أو غير ذلك من صفات المرأة، كما سيبدو لنا من خلال النصوص الشعرية التي سنتمثل بها، بوصفها ادلة على صدق ما نذهب اليه، ولعل السر الذي يكمن خلف الاكثار من ذلك التشبيه، هو لانهم عدّوا المرأة المثال الاعلى للجمال، فاذا ما أرادوا التعبير عن أي شيء جميل شبّهوه بها، والله (تعالى) اعلم.

إنّ الشجرة الزاهرة في الربيع تتحرك باستمرار، ومن دون توقّف، لذا فهي تبدو مرّة، وتتخفى مرة اخرى، بفعل تكاثف النباتات التي تحيط بها، ولذلك تُشبّه تلك الشجرة بالمرأة العذراء التي تظهر تارة، وتختفي مرة:

تَبدُو ويَحْجُبُها الجَمِيمُ كأنَّها عَذْراءُ تَبْدُو تارةً وتَتَخَّفَرُ (٣٥)

اما الارض في وقت ازدهار النبات فيها، فيعبّر عنها بالتبرّج في فصل الربيع، في كناية لطيفة عن اكتسائها بالأزهار الجميلة الملونة، بعد ان كانت مغبرة الوجه قبل قدومه، في كناية عن تجردها من المزروعات في فصل الشتاء، فهي- بذلك- تشبه المرأة التي تتبرّج لزوجها مثلاً:

تَبَرَّجت بعدَ حياءٍ وخَفَرْ تَبَرُّجَ الأُنثى تَصَدَّتْ للذَّكَرْ (٣٦)

ويبدو ان ابن وكيع التنيسي قد نال القدح المعلى في تشبيه الربيع، بأزهاره ونباتاته المختلفة بالمرأة، أو احدى صفاتها، فمن ذلك مثلاً تشبيهه الرياض بالنساء العرائس، اللواتي يتمايلن ويتبخترن في ملابس العرس، في دلالة على الزهو والفرح:

هَذي الرِّياضُ كأنَّهنَّ عَرَائِسٌ يَخْتَلْنَ بين تمايُلٍ وتَبَخْتُرِ (٣٧)

أو تشبيهه الورد بوجنة الكاعب حين تُمازَح، فتنثني خجلة، وفي ذلك دلالة على شدّة احمرار لون ذلك الورد:

وردٌ كَوَجْنَةِ كاعِبٍ قد مُوزِحَتْ فَتَرَاجَعَتْ خَجْلَى بِفَرْطِ تَحَيُّرِ (٣٨)

ومن ذلك ايضاً، تشبيه البدر – في حسن نوره واشراقه- ببياض الحسناء، من ناحية شدّة نقائه، فضلاً عن تشبيهه بجامة البلور في صفائها:

لبدرِهِ فَضْلٌ على البُدورِ في حُسْنِ إشراقٍ وفَرْطِ نُورِ

كجامَةِ البلورِ في صَفائِها أو غُرَّةِ الحَسْناءِ في نقائِها(٣٩)

لقد كان ابن وكيع مغرماً بتشبيه الورد بخدّي الكاعب، ففي الوقت الذي شبّه فيه الورد– في السابق– بخدّها حين تُمازَح، نراه – في مناسبة اخرى– يُشبّه الورد أيضاً بخدّيها، ولكن في هذه المرة حين يراودها الرجل عن نفسها، فتحمرّ وجنتيها، وذلك الاحمرار هو وجه الشبه بين خدّيها، واحمرار الورد، يقول:

أَمَا تَرَى الوَرْدَ كَخَدَّي كاعِبٍ رَاوَدَها– فامتنعتْ منه– ذَكَرْ (٤٠)

إذن، كان ما سبق الحديث عنه، متصلاً بتشبيه الربيع– بنباتاته وأزهاره المختلفة– بالنساء، أو بإحدى صفاتهن كما مرّ معنا، إلا أنّ التشبيه لم يقف عند هذا الجانب فحسب، وانما تعدّى إلى امور مختلفة أُخر، شملت اشياء عدّة من الحياة، ومن ذلك مثلاً تشبيه الشجرة عند ابي تمام، حين تقع قطرات الندا بين اوراقها، بالعين الدامعة، ولا ندرك سرّ هذا التشبيه لدى الشاعر، فمنظر سقوط قطرات من الماء من اوراق الشجر منظر جميل لا يمكن أن يبعث الحزن في نفس المشاهد، فلا يوجب تشبيهه بعين تدمع، إلا إذا كان الشاعر – في تلك اللحظة– يمرّ بموقف يستحق منه مثل ذلك التشبيه:

مِنْ كُلِّ زاهِرَةٍ تَرَقْرَقُ بالنَّدى[كذا] فكأنها عَيْنٌ عليهِ تَحَدَّرُ (٤١)

ويشبّه الشاعر انوار الأزهار، قبل تفتّحها بالدُرّ، من جهة شدّة البياض، فاذا ما تفتّحت الأزهار، أصبحت الوانها صفراء كالزعفران:

مِن فاقِعٍ غَضِّ النَّباتِ كأنَّهُ دُرٌّ يُشَقَّقُ قَبْلُ ثُمَّ يُزَعْفَرُ (٤٢)

إنّ اشجار السرو، حين تتلاعب بها الرياح، فوق جدول الماء، تبدو وكأنّها جندٌ بملابسهم الخضراء:

والسَّرْوُ تَثْنِيهِ الرِّياحُ لواعِباً مِن فَوقِ جَدوَلِ مائِهِ المُتَفَجِّرِ

كالجُندِ في خُضْرِ الملابِسِ حاولوا أمرًا، فَبَينَ مُقلِّصٍ ومُشَمِّرِ (٤٣)

لقد كانت بعض قصائد ابن وكيع في الربيع، عبارة عن مجموعة كبيرة من التشبيهات النادرة والجميلة في كثير من الاحيان، اذ نراه في احداهن يصف قدوم الربيع بعد الشتاء، مشبّهاً الشتاء بوجه الرجل الذي يهدّد الآخرين في امر ما، في الوقت الذي يشبّه فيه الربيع بوجه الرجل الذي يبشّر بالخير، فيقول:

وافى على أثَرِ الشِّتاءِ كأنَّهُ إقبالُ جَدٍّ بَعْدَ أمْرٍ مُدْبِرِ

فكأنّ ذلك كان وَجْهَ مُهَدِّدٍ وكأنّ هذا جاءَ وَجْهَ مُبَشِّرِ (٤٤)

ثم سرعان ما يقوم الشاعر بتشبيه زهر الباقلاء بالدراهم، فضلا عن تشبيهه وهو فوق غصونه، بالرجل الذي ينظر وهو أقبل أو أحور العين، وكذلك يشبّه ثمار الاترنج، بكؤوس الذهب، ولها مقابض من حرير اخضر، ففي ذلك كله، يقول:

وكأنَّ زَهْرَ الباقِلّاءِ دراهِمٌ قد ضُمِّخَتْ أوساطُها بالعَنْبَرِ

وكأنّما الأتْرُنْجُ أكؤُسُ عَسْجَدٍ ولها مَقابضُ مِن حَرِيرٍ أخْضَرِ (٤٥)

ثم إنّ الشاعر لا يستطيع إخفاء رغبته في التشبيه، كلما سنحت له الفرصة لتصوير الربيع، فيشبّه ورد النرجس الابيض بالثغور، ثم سرعان ما يشبّهه بالقلادة المصنوعة من الكافور، فضلاً عن تشبيه روضة البنفسج بالأرض المكتسية بالحجر الكريم الأزرق، كما مرّ بنا سابقاً:

مِن نَرْجِسٍ أبيضَ كالثّغورِ كأنّه مَخانِقُ الكافُورِ

وَرَوْضَةٍ تُزْهِرُ مِن بَنَفْسَجِ كأنّها أرضٌ من الفَيْرُوزَجِ (٤٦)

لقد اضفى جمال التشبيه، الذي جاء به الشعراء العباسيون (٤٧)، جمالا آخر على جمال الربيع، وجمال الطبيعة فيه، فلا يخفى ما للصورة من اثر في تكوين الاثر الابداعي في أي نص شعري، فكيف بنا اذا كانت الصورة، التي رسمها لنا الشعراء العباسيون لمنظر مصور اصلاً بالوان زاهية، وأشكال لطيفة من الورد والأشجار ؟

وممّا لاشكّ فيه إنّ الشعراء في العصر العباسي، أرادوا – بتشبيهاتهم السابقة الذكر– محاكاة الطبيعة الخلاّبة في فصل الربيع، فضلاً عن التعبير عن مقدرتهم الشعرية، التي تستطيع مجاراة أيّة قضية طبيعية أو انسانية، والإعلان عن عدم تقصيرهم في محاكاتها.

ولم تمتد ايدي الشعراء إلى فرشاة التشبيه في رسم لوحاتهم الربيعية، وانما امتدت إلى فرشاة الاستعارة ايضاً في ذلك الرسم، إذ جاءت مكملة لمعالم تلك اللوحات الملونة الجميلة، ولاسيما الاستعارة المكنية على وجه التحديد، أو ما يعرف بـ (التشخيص)، بمعنى اضفاء سمات الحياة إلى الجماد أو المعنوي، وبشكل أدق، أنسنة الجماد والمعنوي، ولاسيما الطبيعة، فللشتاء يد لا تُنْكَر، على الرغم من فضل الربيع عليه لدى أبي تمام، فبفضل تلك اليد، نَدِيَت الأرض بأمطار الشتاء، واصبحت الحبوب جاهزة للانبات فيها:

نَزَلَتْ مُقَدِّمَةُ المَصِيفِ حَمِيدَةً وَيَدُ الِّشتاءِ جَدِيدَةٌ لا تُكْفَرُ (٤٨)

وكانت صفة الضحك التي يتحلّى بها الانسان اكثر صفة نسبها الشعراء إلى الربيع، أو إلى امور تتعلق به كما سنرى، وما كان ذلك – برأيي– الا بسبب الاستبشار، وفرحة الشاعر نفسه بقدوم الربيع، فحاول ان يسقط ضحكه أو فرحته على الربيع، أو نباتاته، أو كل ما يتعلق بذلك.

وكانت ابيات البحتري المعروفة في وصف الربيع، من ابرز الابيات التي وُصِفَ فيها الربيع بالضحك والاختيال، حتى جعله الشاعر وكأنه يحاول الكلام، إذ يقول:

اتاكَ الرّبيعُ الطَّلْقُ يَخْتالُ ضاحِكاً مِنَ الحُسْنِ حَتّى كَادَ أنْ يَتَكَلَّما

وَقَدْ نَبَّهَ النَّورُوزُ في غَلَسِ الدُّجَى أوائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمْسِ نُوَّما (٤٩)

فرسم لنا الشاعر الربيع ضاحكاً، يكاد يتكلم، وكأنما الربيع ينبّه الورد في ظلمة الليل، كي يستيقظ من الصباح الباكر، ليرى جمال الحياة من أول النهار (٥٠).

ولم يقتصر الضحك في اضفائه على الربيع فحسب، بل تعدّى إلى الشمس، التي تضحك هي الاخرى في هذا الفصل، ولكن من غير عجب بنفسها، كما يرى الشاعر:

تضحكُ فيه الشّمْسُ من غيرِ عَجَبْ كأنّها في الأُفْقِ جامٌ مِن ذَهَبْ (٥١)

وكذلك يمتاز الزهر الأحمر بصفة الضحك في روضته:

يضحكُ فيها زَهَرُ الشّقِيقِ كأنّهُ مَداهِنُ العَقِيقِ[٥٢]

ويمتاز الروض بالتبسم، في كناية لطيفة من لدن الشاعر، على تفتّح الأزهار في فصل الربيع:

أسْفَرَ عن بَهجتِهِ الدَّهْرُ الأغَرْ وابتَسَمَ الرَّوضُ لنا عن الزَّهَرْ[٥٣]

ان هذه الاستعارات المكنية، لم تكن طارئة على وصف الربيع، بل كانت على صلة متينة معهُ، إذ إنّ هناك علاقة قوية بين ما اضفاه الشعراء من استعارات على النباتات، وتلك النباتات أو الربيع عموماً، ومن ذلك اضفاء العيون عليها، من لدن ابن وكيع التنيسي، ومنها اضفاؤها على النرجس، الذي يمتاز – اصلاً– بطبيعته المستديرة، ولونه الاصفر، الذي يشبه العيون، لذا يصفه الشاعر بالرنو، أي النظر بسكون الطرف، وذلك في قوله:

والنّرْجِسُ الرَّيَّانُ بينَ رِياضِهِ يَرْنُو بعينِ الباهِتِ المُتَحَيِّرِ[٥٤]

وما قلناه عن أزهار النرجس، ينطبق تماماً على نبات المنثور، الذي وصفه الشاعر عينه بالوصف ذاته، في قوله:

وانظُرْ إلى المَنْثُورِ في مَيدانِهِ يَرْنُو إلى النَّاظِرِ مِن حَيثُ نَظَرْ[٥٥]

ولم تكن الصفات الانسانية، أو الاعضاء التي اضفاها الشعراء العباسيون على الربيع وأزهاره، مثل اليد والعين والضحك، هي الوحيدة في قصائدهم، وانما حفلت دواوينهم بغيرها من الاعضاء والصفات الانسانية، ولاسيما في وصف الطبيعة، وفي فصل الربيع على وجه الخصوص[٥٦].

وكان الحوار الذي يدور بين انواع الورد، جزءاً لا يتجزأ من عملية التشخيص، فحين يجعل الشاعر ما لاينطق ناطقاً، فانه يضفي عليه صفة الحياة والانسانية، وهنا لا نجد الزهور تتحاور بحديث اعتيادي فحسب، وانما نستمع إلى حجج وبراهين لكل نوع من انواعه في محاولة منه لاقناع الطرف الآخر بتفضيله على الأنواع الأُخر، فالورد الجميل يحمرّ خجلاً حين يجادله النرجس، ويفضل العين على الخد، إذ لا قيمة برأي النرجس لخدٍ صاحبه اعمى البصر، وذلك لأنّ الورد معروف بشدّة احمراره، لذا تشبّه به الخدود، في حين يكون النرجس مدوّراً، فتشبّه به العيون:

أَمَا تَرَى الوَردَ كَخَدَّيْ كاعِبٍ راوَدَها– فامتنعتْ منه– ذَكَرْ

كأنّما الخَمْرُ عليه نَفَضَتْ صِباغَها أو هِيَ منه تُعْتَصَرْ

أخْجَلَهُ النَّرْجِسُ إذ جادَلَهُ فاحْمَرَّ مِن فَرْطِ حَيَاءٍ وَخَفَرْ

قال له: العينُ وما الخَدُّ لهَا مُوازناً في عُظْمِ قَدْرٍ وَخَطَرْ

ماذا الذي يُرْجَى لِخَدٍّ بَهِجٍ مُسْتَحْسَنٍ، صاحِبُهُ أعمى البَصَرْ؟

فاحْمَرَّ من حُجَّتِهِ إذ ظَهَرَتْ والحُقُّ لا يُدْفَعُ يَوماً إنْ ظَهَرْ[٥٧]

وربما يكون من نافلة القول ان نشير هنا إلى ان الشاعر كان هو من يفضّل زهر النرجس على الورد، فاسقط رأيه هذا على لسان النرجس، في المحاورة الشعرية التي دارت بين هذين النوعين من الورد.

وحتى في الوقت الذي تختفي فيه المحاورة على ألسنة الأزهار، فإننا نلمس الورد وهو يعاني صراعاً كبيراً عندما يستفزّه نوع من الانواع المتعددة من الأزهار، فنجده عامراً بالإحساسات المتباينة بين فرح وترح، وبين غرور وغيظ، وما إلى ذلك من الامور التي يشعر بها الناس وهي لا تكتفي بذلك، وإنّما تسعى إلى التطاول على الورد، وتشعره بانه قليل الشأن

امامها من ناحية الجمال، إلى ان تستثير غيظه وحنقه، فتشعره بالغضب الشديد، وفي الوقت نفسه، نرى الورد منتصراً، مشيداً بافضليته عندما ينافسه زهر الشقيق، ويعتقد بانه اجمل منه، فيرجع خائباً، لاطما خدّه، بسبب انتصار الورد عليه:

فمن نَرْجِسٍ لَمّا رَأَى حُسْنَ نَفْسِهِ تَدَاخَلَهُ عُجْبٌ بها فَتَبَسَّما

وأبدى على الوَرْدِ الجَنِيِّ تَطاوُلاً فأظْهَرَ غيظُ الوردِ في خَدِّهِ دَمَا

وَزَهرٍ شَقِيقٍ نازَعَ الوَرْدَ فَضْلَهُ فَزَادَ عليهِ الوَرْدُ فَضْلاً وقَدَّما

وظَلَّ لِفَرْطِ الحُزْنِ يَلْطِمُ خَدَّهُ فأظْهَرَ فيه اللَّطْمُ جَمْراً مُضَرَّما(٥٨)

وبانتهاء الحديث عن التشبيه والاستعارة، نرى ان الصورة الشعرية البيانية قد اكتملت ايضاً، بل ونجحت في محاكاة المناظر الخلابة التي ولدت في رحم فصل الربيع، فنحن نعتقد ان الشعراء العباسيين لم يألوا جهداً في منافسة جمال تلك الطبيعة، من خلال ما وضّفوه في قصائدهم من اللغة الموحية التي استطاعت ان توصل للمتلقي سرّ ذلك الجمال، وتحاكيه، فكأنها غدت مرآة واضحة الرؤية تعكس تلك المناظر بدقة وواقعية كبيرتين، وهذا ما يُحْسَب للشعراء حتماً، وفي النصوص التي تمثّلنا بها سابقاً، ما يؤكّد صدق زعمنا.

ولم يكتف كثير من شعراء الطبيعة بالصورة البيانية في رسم لوحاتهم، وانما لجؤوا ايضاً إلى فن البديع، فاستثمروه في قصائدهم التي تشيد بالربيع وأزهار الرياض فيه، وذلك لاستكمال رسم الصورة الربيعية المدهشة بمنظرها، فاستعملوا منه (الجناس)، فيما يتصل بالمحسنات اللفظية، و(الطباق)، فيما يتصل بالمحسنات المعنوية، كما سنرى فيما سيأتي.

فبالنسبة إلى الجناس، نعتقد ان الشعراء العباسيين ارادوا– من خلال الاكثار منه في قصائدهم التي اختصت بوصف أزهار الربيع، ونباتاته المختلفة– إحداث ايقاع جميل ينسجم وايقاع الربيع المنبعث من تجانس الوان أزهاره المتعددة، فتغدو قصائدهم كقطعة قماش موشاة بالوان زاهية تشبه الوان رياض الربيع.

وسنتمثّل فيما يأتي ببعض الجناسات الربيعية لدى كثير من الشعراء العباسيين، التي لانشك في انهم كانوا يخططون لها مسبقاً، ويدرسونها بعمق قبل تثبيتها في قصائدهم، لتأتي منسجمة مع جمال الطبيعة في الربيع، بمعنى اننا لا نعتقد بان تلك الجناسات كانت تأتي في قصائدهم، بعفوية بقدر ما كانت تخضع في المختبر النقدي، واعني به مختبر الشعراء الذي يختبرون فيه ابداعاتهم الشعرية، ولاسيما فيما يتعلق بلوحة الربيع الشعرية.

ومن ابرز النصوص التي تؤيد قولنا، هي قول ابي تمام، الذي وصف فيه الربيع بشمولية تامة، إذ نجد فيه ثلاثة ابيات توشى بهذا الفن البديعي، إذ جانس في هذه الابيات بين (الصحو، وصحو)، و(غيثان، وغيث، وغيث)، و(أربيعنا، وللربيع)، قائلاً:

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحْوُ منه وبَعْدَهُ صَحْوٌ يكادُ مِنَ الغَضَارَةِ يُمْطِرُ

غَيثانِ فالأنواءُ غَيْثٌ ظاهِرٌ لَكَ وَجْهُهُ، والصَّحْوُ غَيْثٌ مُضْمَرُ

[....]

أَرَبِيعَنا في تِسْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً حَقاً لَهِنَّكَ لَلَّربيعُ الأزهَرُ(٥٩)

وما قيل عن ابيات ابي تمام، يقال عن ابيات الحمدوي، التي جانس فيها – في ثلاثة ابيات من القصيدة نفسها – بين (نشأت، وفانشأت، وناشئاً)، و(بهار، وباهر)، و(يصددن، وصد)، إذ يقول:

نشأت سحابته فانشأت نَوْراً تراهُ ناشِئاً ووليدا

[....]

وترى العذارى من بهارٍ باهرٍ للشمسِ تحسب نظمهنّ فريدا

[....]

يصددنَ صَدَّ مُتيّمٍ مُتَهَرِّمِ أنحَى لَهُ عُذَّالهُ تفنيدا(٦٠)

أما عن الجناسات الأُخر، فإنّ ما وجدناه منها لدى الشعراء، كان يمثّل– في اكثر الاحيان– فضائل الربيع، ومزاياه الايجابية، فهو لدى ابن المعتز معتدل الجو، فليس فيه حرّ، ولا فيه برد، لذا جانس الشاعر بين لفظتي (حر، وقر)، وان كان بحرف واحد، في قوله:

وقد عَدَّل الدهرُ مِيزانَهُ فلا فيهِ حَرُّ ولا فيه قُرْ(٦١)

ونلحظ الشيء نفسه في قول ابن بسام، الذي يجانس فيه بين لفظتي (الورد، وللورود):

اما ترى الوَرْدَ يَدعُو لِلوُرُودِ الى خَمْرٍ مُعَتَّقَةٍ في لَونِها صَهَبُ(٦٢)

في حين جانس الشاعر كشاجم في شعره بين لفظتي الترحيب اللتين استقبل بهما فصل الربيع، واعني بهما (حيِّ، وتحيّة)، قائلاً:

حَيِّ الرَّبيعَ تَحِيَّةَ المُسْتَقْبِلِ أهْدَى السُّرُورَ لنا بِغَيْثٍ مُسْبَلِ(٦٣)

وعلى الرغم من إكثار الشعراء العباسيين من استخدام فن الجناس في قصائدهم التي تغنوا فيها بجمال الطبيعة الساحرة في فصل الربيع (٦٤)، إلّا أنّ ابن وكيع التنيسي كان قد نال قصب السبق في استخدامه لهذا الفن البديعي في شعره، الذي تناول المضمون الذي نتكلم عليه نفسه، لذا سنفصل فيه القول فيما سيأتي من نصوص شعرية ربيعية.

ومن الملاحظ على شعر ابن وكيع فيما يخص هذا الجانب، نرى انه كان يكثر من الاتيان بفن الجناس في ابيات متعددة من القصيدة الواحدة، فمن ذلك انه جاء باربعة ابيات جانس فيها بين الفاظ عدّة، كانت ثلاثة منها على نحو متسلسل كما سيأتي، فقد جانس فيها بين الالفاظ (مقصراً، ومقصر)، و(جوهر، والجواهر، والجوهر)، و(يبقى، وبقاء)، و(سِرّ، وأسرّ)، و(فأذاعه، وفأذاع)، و(بطيبه، وطيب)، اذ يقول:

حُلَلٌ تُعَدُّ– إذا اجتهدتَ– مُقَصِّراً في وَصْفِها، وتكونُ غَيرَ مُقَصِّرِ

[. ...]

في جَوهرٍ فاقَ الجواهِرَ قِيْمَةً لو انَّهُ يَبْقَى بقاءَ الجَوهَرِ

سِرٌّ أسَرَّ بِهِ السَّحائِبُ في الثّرى فأذاعه، فأذاعَ أحْسَنَ مَنْظَرِ

زمنٌ أغَرُّ فلو شَرَيْتَ بِطيبِهِ طِيبَ الجِنانِ لكان أرْبَحَ مَتْجَرِ(٦٥)

ومما يؤكد قصديّة ابن وكيع التنيسي في استثماره لفن الجناس في شعره، الذي خصّصه لوصف الربيع وأزهاره المختلفة، هو مجانسته بين ألفاظ سبعة أبيات من قصيدة ربيعية واحدة، ففي ذلك ما يقطع بصحة ما ذهبنا اليه، فقد جانس في ابيات هذه القصيدة على التوالي، بين الفاظ (عُدِّل، واعتدل)، و(نهاره، والنهار)، و(مقوَّم، والتقويم)، و(لبدره، والبدور)، و(رنين، وحنين)، و(الشقيق، والعقيق)، و(انظر، ونظرتا)، فقال في ذلك كلّه:

عُدِّلَ في أوزانِهِ حتّى اعتَدَلْ وحُمِدَ التَّفصِيلُ منهُ والجُمَلْ

نهارُهُ من أحسنِ النَّهارِ في غايةِ الإشراقِ والإسفارِ

[....]

ولَيلُهُ مُسْتَلْطَفُ النَّسِيمِ مُقَوَّمٌ في أحسنِ التَّقويمِ

لِبَدْرِهِ فَضْلٌ على البُدُورِ في حُسْنِ إشراقٍ وفَرْطِ نُوْرِ

[....]

مِن كُلِّ دُبْسِيٍّ لَهُ رَنِينُ وكُلِّ قُمْرِيٍّ له حَنِينُ

[. ...]

يضحكُ فيها زَهرُ الشّقِيقِ كأنّه مَداهِنُ العَقِيقِ

[....]

وانظُرْ إلى الخَشْخاشِ إنْ نظرتا يَحْكِي كُرَاتٍ ظُوْهِرَتْ كَيْمَخْتا(٦٦)

ويكرر الشاعر مجانسته بين الفاظ النظر في قصيدة أخرى ثلاث مرات، قائلاً:

وانظُرْ إلى المنثُورِ في مَيدانِهِ يَرنُو إلى النّاظِرِ من حيثُ نَظَرْ(٦٧)

اذن، كان ابن وكيع التنيسي، كثيراً ما يستثمر الجناس في قصائده، فقد بدا لنا ذلك بوضوح شديد، من خلال النصوص التي تمثّلنا بها، والتي سنختمها بهذين البيتين اللذين جانس الشاعر فيهما بين الفاظ (الربيع، والربعي)، و(يلطم، واللطم)، فقال:

أَلَستَ ترى وَشْيَ الرّبيعِ المُنْمنَما وما رَصَّعَ الرِّبْعِيُّ فيه وَنَظَّمَا

وظَلَّ لِفَرْطِ الحُزْنِ يِلْطِمُ خَدَّهُ فأَظْهَرَ فيه اللَّطْمُ جَمْراً مُضَرَّما(٦٨)

أمّا فيما يخصّ الطباق، بوصفه فنًّا معنويًّا، فإنّ الملاحظة الغالبة عليه، والتي يمكننا تدوينها، فيما يتصّل بإكثار الشعراء العباسيين من استثماره في قصائدهم، التي وصفوا فيها الربيع، هي أنهم – في أكثر تلك النصوص– حاولوا عقد موازنات لبيان ايجابيات الربيع من دون سواه من الفصول الأُخر، فأبرزوا– من خلال الطباق – جمال الربيع، وتحليه

بالصفات الجيدة التي تفقدها الفصول الأُخر، فضلاً عن مطابقتهم بين أمور كثيرة أُخر لا علاقة لها بهذا الجانب، لذا سنستقري الطباقات البلاغية لدى الشعراء العباسيين، من حيث ورودها في قصائدهم بحسب التسلسل الزمني الذي اتبعناه في البحث.

لقد طابق أبو تمام بين لفظتي (ظاهر، ومضمر)، وذلك في وصف نوعين من الغيث، أما (الظاهر) منهما، فقصد به الغيث الحقيقي الملموس، والذي ينزل من السماء حقيقة، وأما (المضمر)، فقصد به ما يتكون من الندا بسبب رطوبة الهواء وغضارته، فهو –بذلك– غيث لايتمكن المرء من رؤيته كما في النوع الأول، فيقول:

غَيْثانِ فالأنواءُ غَيْثٌ ظاهِرٌ لَكَ وَجْهُهُ، والصَّحْوُ غَيْثٌ مُضْمَرُ (٦٩)

ويتكلم الشاعر أيضاً على عملية حرث الأرض، وكيف تقلب بطونها لظهورها، من أجل انبات النبات في الربيع، فقال مطابقاً بين لفظتي (بطونها، ولظهورها):

أضحَتْ تَصُوغُ بُطونُها لِظُهورِها نَوْراً تكادُلهُ القُلُوبُ تُنَوَّرُ (٧٠)

وحين يتحدث عن الشجرة الزاهرة، التي تنمو وسط النبات الكثيف، فانه يلجأ إلى المطابقة بين ظهورها تارة، واختفائها تارة أخرى، عن طريق الألفاظ (تبدو، وويحجبها)، و(تبدو، وتخفّر)، فيقول:

تَبدُو ويَحجُبُها الجَمِيمُ كأنّها عَذراءُ تَبْدُو تارةً وتَخَفَّرُ (٧١)

وفي الأبيات السابقة، يبدو المطّلع عليها، وكأنه يرى المناظر– التي صوّرها أبو تمام– بعينيه من دون أية مبالغة، وذلك يرجع إلى مقدرة الشاعر على التصوير، والإجادة في رسم معالمه، فيجعل القارئ أو المستمع يشعر بذلك الشعور، ويقتنع به في أكثر الأحيان.

ويطابق الشاعر الحمدوي بين لفظتي (الركوع، والسجود)، في كناية عن انحناء الأزهار بفعل الرياح التي تلاعبها في هذا الفصل، قائلاً:

فاذا الرّياحُ مَشَينَ فيه ظَلَلْنَ من كَسَلِ النعيمِ رواكعاً وسجودا (٧٢)

وليس هنالك أدنى شك في ابداع البحتري في وصفه قدوم الربيع، حين عَبّر عنه بأنّه (أَحَلَّ) بعد أن كان (محرماً)، في كناية عن عدم قدومه بعد، فطابق بين هاتين اللفظتين (أَحَلَّ، ومحرما)، فضلاً عن مطابقته بين لفظتي (بشاشة، وقذى)، في البيت نفسه، فغدا– بذلك– من أروع الطباقات التي وردت في شعر الربيع، ولاسيما أنّ الشاعر جاء بألفاظ دينية أصلاً، وأفاد منها في وصف مجيء الربيع، فأحدث موازنة لطيفة فيما أبداه للعيون بعد قدومه، وفيما كان قبل ذلك:

أَحَلَّ، فأبدى للعُيُونِ بشاشَةً، وكان قَذًى للعَينِ إذْ كانَ مُحْرِما (٧٣)

لقد عقد أكثر الشعراء العباسيين الموازنات، من خلال طباقاتهم الجميلة، وذلك لتفضيل الربيع على الفصول الأُخر كما ذكرنا سابقاً، ومن تلك الموازنات ما طابق– من خلالها– ابن المعتز بين (الحر، والقر (البرد))، لبيان اعتدال الجو في فصل الربيع، في قوله:

وقد عَدَّلَ الدَّهْرُ مِيزانَهُ فلا فيه حَرٌّ ولا فيه قُرّ (٧٤)

وحين أراد الشاعر ابن بسام، التعبير عن حُسْنِ الورد وإشراقه، إذا نظرت إليه عين المحب، الذي هاجه الطرب، جعله يخاف الملال من طول الإقامة، لذا ظَلَّ يظهر تارة، ويحتجب تارة أخرى، فحصل الطباق هنا بين لفظتي (يظهر، ويحتجب)، في قوله:

للوردِ حُسْنٌ وإشْراقٌ إذا نَظَرَتْ إليهِ عَينُ مُحِبٍّ هاجَهُ الطَّرَبُ

خافَ المَلالَ إذا طالتْ إقامتُهُ فَظَلَّ يَظْهَرُ أحياناً ويَحْتَجِبُ (٧٥)

وجاء الطباق بين لفظتي (الذهاب، والرجوع)، في شعر أبي فراس الحمداني، بسيطاً، لا عمق فيه، أراد به الشاعر تصوير الأزهار في الربيع من ناحية الحركة، فضلاً عن تصوير الماء في البركة، حين تجري فوقه الرياح:

انظُرْ إلى زهر الربيع والماء في برك البديع

وإذا الرياح جرت عليـ ـهِ في الذهابِ وفي الرجوع (٧٦)

أمّا ابن وكيع التنيسي، الذي كان مبدعاً دوماً في وصف كلّ ماله شأن بالربيع، بوصفه مختصًّا بالتغني بأنواع الأزهار والنباتات التي تفترش الرياض، ولاسيما في هذا الفصل، فانه كان مسرفاً أكثر ممّن سبقوه في الافادة من هذا الفن البديعي، الذي يحتوي دلالات عميقة ومميزة، فنراه يطابق بين الألفاظ (إقبال، ومدبر) و(ذلك، وهذا) و(مهدّد، ومبشّر)، في بيتين يصوّر فيهما قدوم الربيع بعد الشتاء، ليتوصّل– من خلال الموازنة التي عقدها بين الفصلين– إلى روعة الربيع، وقربه من نفسه، على العكس من فصل الشتاء، الذي شبّهه بوجه المهدِّد، وذلك حين قال:

وافى على أَثَرِ الشِّتاءِ كأنَّهُ إقبالُ جَدٍّ بَعْدَ أمْرٍ مُدْبِرِ

فكأنَّ ذلكَ كان وَجْهَ مُهَدِّدٍ وكأنَّ هذا جاءَ وَجْهَ مُبَشِّرِ (٧٧)

ويحذو الشاعر حذو ابن المعتز، عندما طابق بين لفظتي (الحر، والبرد)، كما مرَّ بنا، وللغاية نفسها، وأعني بها اعتدال الجو في هذا الفصل، فيقول:

لِبَرْدِهِ وَحَرِّهِ مِقْدَارُ لم يَكْتَنِفْ حَدَّهُما الإكثارُ (٧٨)

ولكثرة صفات الربيع الجيدة والحسنة، يرى الشاعر نفسه مقصراً في وصف تلك المزايا، على الرغم من ادراكه التام بأنّه قد أسرف في نعتها، لذا نراه يطابق هنا بين لفظتي (الإسراف، والتقصير)، في قوله:

هذا، وكَمْ يجمعُ من أُمُورِ إسرافُ مُطْرِيها مِنَ التَّقْصِيرِ (٧٩)

ونرى الشاعر في موضع آخر من القصيدة نفسها، مطابقاً بين الألفاظ (يفشي، ويُضْمِر)، و(إعلانه، وكتمانه)، وذلك في موضع التعبير عن تفتّح الأزهار في الرياض، وإفشاءِ التراب للسّرّ الذي كان يضمره، مع علم الشاعر بأن الإعلان عن ذلك السّرّ هو ما يزينه، على العكس من كثير من الأمور التي لا يجدر الإعلان عنها، كما يقول:

هذا، وفيه للرياضِ منظرُ يُفْشِي الثَّرى مِن سرِّها ما يُضْمِرُ

سِرَّ نباتٍ حسنُهُ إعلانُهْ إذا سِوَاه زَانَه كتمانُهْ (٨٠)

لقد جاءت الفنون البيانية، كالتشبيه والاستعارة، والبديعية، كالجناس والطباق، في القصائد التي حاكت جمال فصل الربيع، ونسيمه العذب، لتضفي جمالاً أخّاذًا آخر على جماله الطبيعي من ناحية، ولتؤكد مقدرة الشعراء العباسيين على منافسة الطبيعة في جمالها، من خلال جمال نظمهم فيها من النواحي المختلفة، فغدت قصائدهم في الربيع روضة من رياضه المزدهرة، بما وفّره الشعراء لها من خبرات فنية، ومقدرة لغوية فذّة، استطاعت أنْ تنقل لنا صورة الربيع الجميلة بكل صدق واحساس.

الهوامش

١- الادب وقيم الحياة المعاصرة / ٤٠٥.
٢- م. ن / ٤٠٤.
٣- ديوان الحمدوي / ٧٨.
٤- ديوان ابن الرومي ٣ / ٩٩٣.
٥- ديوان كشاجم / ٣٤٠.
٦- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر/ ٧٥.
٧- ينظر على سبيل المثال: ديوان البحتري ٤ / ٢٠٩٠، وابن بسام، حياته وشعره/ ٣٨٤.
٨- ينظر على سبيل المثال: ديوان ابي تمام ٢ / ١٩١ – ١٩٧، وديوان البحتري ٤ / ٢٠٩٠ – ٢٠٩٢.
٩- ديوان الحمدوي / ٧٨.
١٠- ديوان كشاجم / ٣٤٠.
١١- ديوان الحمدوي / ٧٨.
١٢- ديوان كشاجم / ٣٤٠.
١٣- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٧٦، الوشي: الثياب الموشاة بالالوان المختلفة، شبّه بها الرياض، النثار: ماينثر ويفرق، وينظر ديوان ابن الرومي ٣ / ٩٩٣.
١٤- ديوان ابي تمام ٢ / ١٩١، تتمرمر: تموج وتظرب ليناً ونعومة.
١٥- م. ن ٢ / ١٩٤.
١٦- م. ن ٢ / ١٩٤.
١٧- م. ن ٢ / ١٩٤- ١٩٦، ترقرق: أي تضطرب فيها بين اوراق نَوْرها قطرات للطلِّ، فكأنّها عين تدمع، الجميم: وهو ما تكاثف من النبات، الوهدة: ما انخفض من الارض، الفاقع: من صفات الاصفر.
١٨- ديوان الحمدوي / ٧٨ – ٧٩.
١٩- ديوان البحتري ٤ / ٢٠٩١.
٢٠- ديوان ابن الرومي ٣ / ٩٩٣.
٢١- شعر ابن المعتز ٢ / ١٣٢ – ١٣٣.
٢٢- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر/ ٧١ – ٧٣، اكتنفه: احاط به، جام: كأس، يقرمه: يشتهيه، المخانق: جمع مخنقة: أي قلادة محيطة بالعنق.
٢٣- م. ن / ٧٧ – ٧٨، صفر: صوّت.
٢٤- ابن بسام، حياته وشعره / ٣٨٤، وينظر: شعر ابن المعتز ٢ / ١٣٣.
٢٥- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر/ ٧٤.
٢٦- م. ن / ٧٨.
٢٧- م. ن / ٩٣.
٢٨- ينظر على سبيل المثال: ديوان ابي تمام ٢ / ١٩١ – ١٩٢، وديوان الحمدوي/ ٧٩، وشعر ابن المعتز ٢ / ١٣٣.
٢٩- ابن بسام، حياته وشعره / ٣٨٥.
٣٠- ابو فراس الحمداني / ١٤٤.
٣١- ديوان ابي فراس الحمداني / ١٥١ –١٥٢.

٣٢- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٦٤، السرو: شجر قويم الساق حسن الهيأة.
٣٣- م. ن / ٧٣، الفيروزج: حجر كريم ازرق.
٣٤- م. ن /٧٧، اليعافير: الظباء التي لونها كلون التراب، أو هي أولاد البقر الوحشي، واحدها يعفور.
٣٥- ديوان ابي تمام ٢ / ١٩٥.
٣٦- ديوان ابن الرومي ٣ / ٩٩٣.
٣٧- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٦٣.
٣٨- م. ن / ٦٤، الكاعب: الفتاة التي نهد ثدياها.
٣٩- م. ن / ٧٢، غرّة الحسناء: بياضها.
٤٠- م. ن / ٧٦.
٤١- ديوان ابي تمام ٢ / ١٩٥.
٤٢- م. ن ٢ / ١٩٥.
٤٣- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٦٤.
٤٤- م. ن / ٦٤.
٤٥- م. ن / ٦٤، ضُمِّخَتْ: لُطِّخَتْ، الأقبل: الذي يُقبل سواد عينيه على أنفه، الأترنج: ثمر من جنس الليمون، والعسجد: الذهب.
٤٦- م. ن / ٧٣.
٤٧- ينظر على سبيل المثال: ديوان الحمدوي/ ٧٩، وديوان البحتري ٤ / ٢٠٩٠ – ٢٠٩١، وشعر ابن المعتز ٢/ ١٣٣، وابن بسّام، حياته وشعره / ٣٨٥، وابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٧٤، ٧٤، ٧٧، ٩٢.
٤٨- ديوان ابي تمّام ٢ / ١٩١.
٤٩- ديوان البحتري ٤ / ٢٠٩٠، الطلق: المشرق.
٥٠- ينظر: اصول النقد الادبي/ ٦٣، ومن النقد الأدبي/ ٥٥.
٥١- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٧١.
٥٢- م. ن / ٧٣.
٥٣- م. ن / ٧٥.
٥٤- م. ن / ٦٤.
٥٥- م. ن / ٧٦، المنثور: نبات جميل طيب الرائحة، وساقه متينة تقرب من ان تكون خشبية مبيضة، وتخرج منها جملة اغصان، واوراقه سهمية، فيها بعض ضيق، وله زهر مختلف، بعضه ابيض وبعضه أصفر.
٥٦- ينظر على سبيل المثال: ديوان ابن الرومي ٣ / ٩٩٣، وابن بسّام، حياته وشعره / ٣٨٤ – ٣٨٥، وابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٦٣، ٧٢.
٥٧- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٧٦.
٥٨- م. ن / ٩٢ – ٩٣.
٥٩- ديوان ابي تمام ٢ / ١٩٢ – ١٩٣.
٦٠- ديوان الحمدوي / ٧٨ – ٧٩.
٦١- شعر ابن المعتز ٢ / ١٣٣.
٦٢- ابن بسام، حياته وشعره / ٣٨٤.

٦٣- ديوان كشاجم / ٣٤٠.

٦٤- ينظر على سبيل المثال: ديوان ابي تمام ٢ / ١٩٥، وديوان البحتري ٤ / ٢٠٩١، وديوان ابن الرومي ٣ / ٩٩٣.

٦٥- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٦٣.

٦٦- م. ن / ٧١ – ٧٣، الدبسي: ضرب من الحمام، وقيل: طائر صغير ادكن يقرقر، وقيل: انه ذكر اليمام، ظُوهِرت: أي جُعِلَ لها غشاء ظاهر، والكيمخت: لفظة فارسية بمعنى الكميت، أي احمر مائل إلى السواد.

٦٧- م. ن / ٧٦.

٦٨- م. ن / ٩٢ – ٩٣.

٦٩- ديوان ابي تمام ٢ / ١٩٢.

٧٠- م. ن ٢ / ١٩٥.

٧١- م. ن ٢ / ١٩٥.

٧٢- ديوان الحمدوي / ٧٩.

٧٣- ديوان البحتري ٤ / ٢٠٩١، أَحَلَّ: دخل في شهر الحِلّ، أو خرج إلى الحِلّ وخرج من ميثاق كان عليه، وأَحَلَّ: لبس ثياب الحِلّ، المحرم: الذي تجرّد من ثيابه ولبس ثياب الإحرام في الحج.

٧٤- شعر ابن المعتز ٢ / ١٣٣.

٧٥- ابن بسام، حياته وشعره / ٣٨٥.

٧٦- ديوان ابي فراس الحمداني / ١٥١ – ١٥٢.

٧٧- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٦٤.

٧٨- م. ن / ٧١.

٧٩- م. ن / ٧٢.

٨٠- م. ن / ٧٢.

المصادر والمراجع

- ابن بسام، حياته وشعره، ضمن: شعراء عباسيون، الدكتور يونس أحمد السامرائي، ج٢، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن وكيع التِّنِّيسي شاعر الزهر والخمر، جمع شعره وحققه: الدكتور حسين نصّار، الناشر: مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.
- أبو فراس الحمداني، أحمد أبو حاقة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر- بيروت، ط٢، ١٩٦٣.
- الأدب وقيم الحياة المعاصرة، الدكتور محمد زكي العشماوي، الهيأة المصرية العامة للكتاب- فرع الاسكندرية، مطابع عابدين- اسكندرية، ط٢، ١٩٧٤ [تاريخ المقدمة].
- أصول النقد الأدبي، تأليف: أحمد الشايب، ملتزم الطبع والنشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٥، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
- ديوان ابن الرومي، أبي الحسن علي بن العباس بن جريح، تحقيق: الدكتور حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ج٣، شارك في تحقيق هذا الجزء: د: سيدة حامد، د. محمد عادل خلف، زينب القوصي، منير المدني، طبعة ثالثة منقحة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٩.

- ديوان أبي فراس الحمداني، رواية: أبي عبد الله الحسين بن خالويه، عني بجمعه ونشره: الدكتور سامي الدهان، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ٢٠٠٤.
- ديوان البحتري، عني بتحقيقه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، د.ت.
- ديوان الحَمْدَوي، جمع وتحقيق: أحمد النجدي، مجلة المورد، مجلة تراثية فصلية، تصدرها وزارة الاعلام – الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، م٢، ع٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ديوان كشاجم، محمود بن الحسين، دراسة وشرح وتحقيق: الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- شعر ابن المعتز، صنعة: أبي بكر بن محمد بن يحيى الصولي، دراسة وتحقيق: الدكتور يونس أحمد السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- من النقد والأدب، المجموعة الرابعة، بقلم: الدكتور أحمد أحمد بدوي، ملتزم الطبع والنشر: مكتبة نهضة مصر بالفجالة، د.ت.